



الدورة الحادية والعشرون
مؤتمر مجمع الفقه الإسلامي الدولي
2013هـ - 1435م

تجسيد الأنبياء والصحابة في الأعمال الفنية

إعداد
الشيخ حمد سعيد
مفتى الجمهورية التونسية

بسم الله الرحمن الرحيم

عناصر البحث

1) توطئة

2) تجسيد الأنبياء والصحابة :

المفهوم : لغة واصطلاحا

الأنواع :

* التجسيد بالصورة (الحية والثابتة)

* التجسيد بالصوت أو بطريقة الراوي

* التجسيد بالإيحاء (إظهار شيء من الأدوات كالعصا أو السيف أو الناقة) .

3) حكم تجسيد الأنبياء

4) حكم تجسيد الصحابة

5) ردود على بعض الشبهات

5) الخاتمة

6) خلاصة البحث

7) مشروع قرار

1) توطئة :

كان أول منع لتمثيل شخصيات الأنبياء ، في عهد الخلافة العثمانية ، وذلك أن بعض النصارى أرادوا تمثيل قصة يوسف عليه السلام في بعض المدن السورية ، فغضب المسلمين لذلك وتململوا ، ورُفع الأمر إلى الآستانة ، فصدرت إرادة السلطان عبد الحميد بمنع تمثيل تلك القصة وأمثالها ^١ .

وفي عام 1926 حاول أحد الفنانين المصريين ^٢ تجسيد شخصية النبي صلى الله عليه وسلم في السينما، وحينها واجه انتقادات شديدة من علماء الأزهر فقدم اعتذارا علينا عن فكرته خاصة بعد تحديد الملك فؤاد بحرمانه من الجنسية المصرية ، لينشأ بعد ذلك جدل مستمر حول حكم تجسيد شخصيات الأنبياء والصحابة ، وهذا الجدل ما يزال قائماً منذ سنوات بعد عرض فيلم "الرسالة" ، وتجدد الجدل خاصة بعد عرض المسلسل الإيراني "يوسف الصديق" على بعض القنوات العربية والإسلامية ، وقد ساعد عرض هذا المسلسل وحجم إنتاجه الكبير وقيمة الفنية الجيدة وإقبال أعداد جمة من المشاهدين له ، على إعادة نظر البعض في مسألة تحريم تجسيد الأنبياء في الأعمال الدرامية .

إلا أن تجسيد الأنبياء والرسل والصحابة في الأعمال الفنية يبقى أمراً محفوفاً بالمخاطر الشرعية نظراً لخصوصيتهم وخطورتها هذا التجسيد على العقائد .

فمن ناحية الخصوصية فإن الأنبياء والرسل معصومون مما يقع فيه سائر البشر من الذنوب والمعاصي قال تعالى " تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلام الله ورفع بعضهم درجات " (البقرة 253) وهذا لا يمكن أن يطابق حال الممثلين حال الأنبياء والرسل في أشخاصهم وتصفاتهم وفي سماتهم وحياتهم واستقامتهم على المدى .

وكذا الصحابة رضي الله عنهم ، فقد شرفهم الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونزل من الوحي ما يحدد شأنهم ويرفع شأنهم ما ينبيء بأن لهم المقام الخاص والرتبة العالية على سائر المؤمنين من جاءوا بعدهم قال تعالى " يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين " (الأنفال 64) ، ومدحهم النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة كقوله عليه الصلاة والسلام " الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضاً بعدي ، فمن أحبهم فبجي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك الله أن يأخذه " ^٣ ، مما جعل جهنم سنة والدعاء لهم قرية والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بأثارهم فضيلة .

(١) انظر: فتاوى الشيخ محمد رشيد رضا (1420/4، 1421).

(٢) يوسف وهي .

(٣) أخرجه الترمذى في سنته : باب ما جاء في فضل من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه .

ومن يقوم بإعداد نصوص التمثيل (السيناريو) ، فكثير منهم ينقل الغث والسمين من غير تحر ، حرصا منه على نقل ما يساعد في حبكة المسلسل أو الفيلم وإثارة المشاهد المشوقة ، وربما زاد عليه أشياء يتخيلها وأحداثاً يستنتجها ، والواقع بخلاف ذلك . وربما غالب غرض التكسب والتربح وطغى على تقديم الصورة الصحيحة ، مما قد يدفع القائمين بالإنتاج والتمثيل إلى شيء من التلاعيب ، والاتجاح بما يناسب الربح وهو ما يكون بعيداً عن الدقة العلمية .

أي نعم إن التمثيل هو إحدى الأدوات الفنية التي لم يعرفها السلف الصالح ، ولهذا فهو يعد من المستجدات العصرية التي يجب أن نعمل فيها آلة الاجتهد بأدواته ، خاصة أنه ليس فيه نص وليس هناك ما يقاس عليه ، وليس فيه إجماع من علماء الأمة في عصرنا بشكله العام ، وهناك اجتهادات كثيرة في حكم تمثيل الأنبياء والصحابة بين محرم ومجيز ومحترز ، وهذا يدل على أهمية الموضوع والخروج منه بقول فصل نابع من أحكام الشريعة الغراء حتى تطمئن القلوب وتقتنع العقول .

والله الهادي إلى سواء السبيل

2) تجسيد الأنبياء : المفهوم والأنواع

أ) المفهوم :

لغة : التحسيد والتجمسيم سواء في المعنى . وهو مأخوذ من فعل جسد أي أبرز المعنى المجرد في صورة حسية ، ويقال جسد الصورة أي تمثلها حتى خدت محسوسة . وقد يرد التحسيد والتجمسيم والتتمثيل من غير تفرقة بينها في اللغة لتدل في الاستعمال على نفس المعنى .

اصطلاحا : تجسيد الأنبياء والصحابة هو تمثيل أشخاصهم وأداء أدوارهم استلهاما من وقائع حياتهم . ويوصف هذا الأداء تقنيا بأنه عمل درامي تمثيلي سواء كان سينمائيا أو مسرحيا أو تلفزييا أو إذاعيا . وقد يأخذ التجمسيم صورا أخرى كالرسم بأنواعه ومنه الرسم الساخر ويعبر عنه بالكارикاتور .

ب) الأنواع :

* التجمسيم بالصورة الحية :

التجسيم بالصورة الحية عن طريق مشهد تمثيلي يظهر فيه شخص الممثل وقد تقلد دور نبي من الأنبياء . وقد سبق الغرب ، لا سيما السينما الأمريكية ، منذ بدايات القرن الماضي إلى إنتاج أفلام عن الأنبياء والرسل استطاعت أن تتجاوز المقدسات وتتفجر على المحظورات ، ولعل أول فيلم كان عن موسى عليه السلام وكان صامتاً وذلك سنة 1923 ⁽¹⁾ . وقد أنتجت السينما الغربية أكثر من 350 فيلماً تناولت سير الأنبياء والرموز الدينية المسيحية واليهودية ، ويعتبر فيلم "آلام المسيح" من آخر ما أنتج عام 2004 م ⁽²⁾ .

وبرز من المسلمين الإيرانيون في إخراج أفلام ومسلسلات تجسد شخصيات الأنبياء مثل ما وقع في المسلسل الإيراني "يوسف الصديق" الذي شهد إقبالاً كبيراً من حيث المشاهدة ، وقد ظهر فيه الممثل البطل متقلداً دور يوسف النبي عليه السلام في مرحلتين : مرحلة الطفولة ومرحلة الشباب ، بينما تقلد دور الأب وهو النبي يعقوب عليه السلام ممثل آخر ، وأضيف إلىهما دور ثالث يجسد أمين الوحي جبريل عليه السلام ، كما ظهرت في الفيلم ما يسمى تقنياً ' بالخدعة ' السينمائية لإظهار بعض معجزات سيدنا يوسف عليه السلام . وفي هذا المسلسل من الأحداث ما ليس له أصل لا في سورة يوسف باعتبارها مصدر القصة ، ولا في الأحاديث النبوية الصحيحة ، ويفيد أن مراجع هذه الأحداث مبنية على نصوص ضعيفة وموضوعة ، أو هي في بعضها من خيال المخرج أو كاتب السيناريو .

(¹) أنتجه الممثل والمخرج الأمريكي ثيودور روبرتس .

(²) نقلًا عن جريدة الوطن أون لاين السعودية : مقال كتبه فاضل أحمد العماني بتاريخ 27-07-2011 بعنوان ' الأنبياء والصحابة في الدراما العربية ' .

وكذلك فعل الإيرانيون في مسلسل أنتجوه عن مريم العذراء وعن الرسول موسى والرسول عيسى عليهما السلام ، ويروج لإنتاج أفلام ومسلسلات أخرى منها مسلسل عن النبي سليمان عليه السلام .

ولا شك أن فتاوى عدد من علماء الشيعة بجواز تمثيل الأنبياء وآل البيت والصحابة ، مثل فتوى حسين فضل الله ⁽¹⁾ ، وفتوى علي السيستاني ⁽²⁾ ، قد شجعت على مضاعفة الإنتاج الدرامي الإيراني الذي يجسد شخصيات الأنبياء وآل البيت والصحابة رضوان الله عليهم .

وظهرت على الساحة أيضاً ما يسمى بالرسوم المتحركة أو الكارتونية الموجهة إلى الأطفال تحكي قصص الأنبياء والرسل والصحابة ، ومثلها فيلم رسوم متحركة باسم "الوصايا العشر" أنتجته السينما الأمريكية عام 2007 . وتکاثرت هذه النوعية من الأفلام لرواجها الواسع وإقبال الأطفال عليها ودبلجتها إلى عديد اللغات ومنها اللغة العربية . والمسألة هنا تأخذ بعداً خطيراً باعتبار أن المستهدف هو شخص لم يستوف بعد شروط النضج العقلي والنفسي ، مما يضاعف مدى التأثير عليه .

* التجسيد بالصورة الثابتة :

وهي عبارة عن رسوم ثابتة على لوحات جدارية أو رسوم كاريكاتورية أو معلقات دعائية أو منسوجات على السجاد وأنواع المفروشات .

ففي الكنائس توجد منذ قرون طويلة زخرفات جدارية تمثل عيسى عليه السلام أو أمه مريم العذراء ، وكذلك توجد تماثيل لهما .

وما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة في غزوة الفتح وجد فيها صورة إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام و هما يتقاسمان الاalam فأمر بمسح تلك الصورة ⁽³⁾ .

وفي بعض البلاد الإسلامية إلى اليوم توجد أنواع من المنسوجات أو المصنوعات كالأواني ونحوها عليها رسوم دينية ، ومنها صور لسيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو متط لفرس وشاهر لسيف ذي ذبابتين ، وكذلك رسوم للسيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، وللحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولعلها من بقايا التأثير الشيعي الذي مر على بعض أجزاء من البلاد الإسلامية ومنها تونس التي حكمها العبيديون الفاطميون ل نحو من قرن تقريباً ⁽⁴⁾ .

(¹) في كتابه " فقه الحياة " : ص 166 .

(²) راجع كتاب " الفقه للمغتربين وفق فتاوى سماحة الإمام السيستاني " : ص 343 مسألة 595 .

(³) أخرجه أبو داود : باب في الصور .

(⁴) حكموا تونس من 909 م إلى 1048 م .

وظهرت في السنوات الأخيرة موجة من الرسوم الكاريكاتورية التي استهدفت شخص نبي الإسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . ففي 30 سبتمبر 2005 قامت صحيفة " يولاندز بوستن " الدانماركية بنشر 12 صورة كاريكاتيرية عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعد أقل من أسبوعين وفي 10 يناير 2006 قامت الصحيفة النرويجية " ماغازينات " والصحيفة الألمانية " دي فيلت " والصحيفة الفرنسية " فرنس سوار " وصحف أخرى في أوروبا بإعادة نشر الصور الكاريكاتيرية .

وغير خاف أن نشر هذه الصور جرح مشاعر الغالبية العظمى من المسلمين ، وقبيل نشر هذه الصور الكاريكاتيرية بموجة عارمة من الغضب على الصعيدين الشعبي والسياسي في العالم الإسلامي .

* التجسيد بالصوت أو بطريقة الراوي :

ومثاله الفيلم الكرتونى الأمريكى " محمد خاتم الأنبياء " ⁽¹⁾ ، وهذا الفيلم عرض في دور سينما محدودة في الولايات المتحدة الأمريكية وفي المملكة المتحدة . وقد ركز على الأيام الأولى من صدر الإسلام وبعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، على غرار الفيلم العربى " الرسالة " الذي تم إنتاجه عام 1976 ⁽²⁾ ، ولم يتم تحسيد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأية صورة من الصور عملاً بالشريعة الإسلامية التي تحرم تحسيد الأنبياء . لذلك ، عندما يتحدث الممثل المحسد لشخصية النبي صلى الله عليه وسلم ، أو يكون حاضراً في المشهد ، يتم توجيه الكاميرا باتجاه الشخصية التي تتحدث إليه .

وفي فيلم الرسالة لم تظهر شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بالصورة ولا بالصوت ، وإنما اعتمدت طريقة الراوي وهو أن يقلل أحد الصحابة - المحسدة شخصياتهم في الفيلم صورة وصوتاً - أقوال النبي صلى الله عليه وسلم .

وكذلك ظهرت نفس الطريقة في مسلسل " خير " ⁽³⁾ واستخدم مخرجه شخصية الصحابي محمد بن مسلمة الأنباري رضي الله عنه ، وذلك لنقل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واعتمدت كثير من المسلسلات الإذاعية طريقة الراوي في سرد الأحداث حول شخصيات الأنبياء ومن حولهم من المؤمنين ، ومنها على سبيل الذكر لا الحصر المسلسل الإذاعي المصري " المعجزات في حياة الأنبياء والرسل " ⁽⁴⁾ .

(¹) أخرجه ريتشارد ريتشرن .

(²) من إخراج مصطفى العقاد .

(³) من إخراج محمد عزيزية .

(⁴) من إخراج حسين عثمان .

* التجسيد بالإيحاء (إظهار شيء من الأدوات كالعصا أو السيف أو الناقة) :

والتجأ عدد من المخرجين ، ومنهم مصطفى العقاد في فيلم " الرسالة " ^(١) ، إلى استعمال طريقة الإيحاء لإفهام المتفرج بأن شخص الرسول صلى الله عليه وسلم موجود في هذا المشهد أو ذاك .

ومن طرق الإيحاء إظهار الناقة ، أو إظهار العصا ويقال لها المحن ، أو إظهار السيف ، تحبنا للتجسيد المباشر .

وكذلك فعل نفس المخرج في نفس الفيلم مع الصحابة المبشرين بالجنة مثل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يظهره في المشاهد مباشرة ، وإنما أوحى عن وجوده بظهور السيف ذي الذبابتين .

(3) حكم تجسيد الأنبياء :

إن الأنبياء والرسل عليهم السلام هم صفة خلق الله فضلهم الله على غيرهم من العالمين قال الله تعالى : " وَتَلَكَ حَجَّتْنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَسَاءٍ إِنْ رِبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كَلَا هَدَيْنَا وَنَوْحَا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلِهِ دَاوِودَ وَسَلِيمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَّلِكَ نَجِيَ الْمُحْسِنِينَ وَزَكَّرْيَا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلَيَّاسَ كُلُّ مَنْ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسْعَ وَيُونَسَ وَلَوْطَا وَكَلَا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ " (الأنعام : 83-86) . وفي قوله تعالى " وَكَلَا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ " فيه نص على أن الأنبياء هم أفضّل البشر وأرفعهم درجة على الإطلاق ، وهم أكملهم نفساً وعقلاً وعلماً وخلقنا ، لا يضاهيهم في ذلك أحد من الناس . وقد اصطفاهم الله لأعظم المهمات وهي إبلاغ الرسالات السماوية لهدایة البشر قال تعالى " قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَنَ " (النمل 59) . وأما قوله صلى الله عليه وسلم لما سُئل عن أشد الناس بلاء فقال " الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل " ^(٢) فهذا دليل واضح في أن الأنبياء أمثل البشر .

وقال ابن تيمية رحمة الله : وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضّل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء ^(٣) . فلأنّي العصمة التي تمنع تشبه الشياطين بهم ، في حين أن هذا لم يثبت في حق غيرهم .

وهذا التفضيل الإلهي يقتضي توقير الأنبياء واحترامهم وعدم إذايهم بأي شكل من الأشكال ، وقد قال الله عز وجل في حق رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم " إِنَّ الَّذِينَ يُؤَذِّنُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعْنُهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعْدَ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا " (الأحزاب 57) .

(١) تم إنتاجه عام 1976.

(٢) أخرجه البخاري : باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل .

(٣) الفتاوى : 11 / 221 .

ولهذا فإن تمثيل أشخاص الأنبياء والرسل من دونهم في الرتبة والفضل عند الله ، هو نوع إذائية ، إذ لا يمكن أن تطابق أحوال الممثلين أحوال الأنبياء في صور أبدانهم ولا في طهارة أرواحهم ولا في سائر تصرفاتهم من الاستقامة الكاملة لسانا وحالا وأفعالا . وبناء على ذلك فإن من يتقمص شخصياتهم بالتمثيل فإنه يفترى عليهم بلسان الحال قبل لسان المقال .

كذلك قد ينبع عن تمثيل أشخاص الأنبياء في بعض الأحيان امتهان واستخفاف بهم إلى حد النيل منهم وإنزال قدرهم ، فالذين يقومون بتمثيل أدوارهم أناس - غالبا - بعيدون عن التدين المطلوب والالتزام الأخلاقي ، مما يتبع المقارنة غير اللائقة والتي قد تمس من الأعراض .

ثم إن القدرة على تمثيل الأنبياء بأشخاصهم هو عمل صعب جدا من حيث الوفاء به فنيا وتقنيا ، فالله عز وجل وهب الأنبياء من القدرات والسمات النفسية والجسمية والسلوكية الزائدة عن القدرة البشرية العادلة كي يكونوا أهلا للقيام بالدور المنوط بهم ، مما يجعل مهمة التمثيل والتجسيد الفني عملية شبه مستحيلة ، بل وخلة إخلالا كبيرا بالصورة المنطبقة على حقيقة الأنبياء . وقد حاول عدد من الناس تحشيم عباءة النبوة كذبا وبختانا في عهده صلى الله عليه وسلم ، كمسيلمة الكذاب ، فكانوا محل سخرية وباءت محاولاتهم بالفشل الذريع .

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى عن محاكاة الشخص وهي الفعل مثل فعله والقول مثل قوله ، ففي الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده وغيره عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : ذهبت أحكي امرأة أو رجلاً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : " ما أحب أني حكيت أحداً وأن لي كذا وكذا أعظم ذلك " ، فكيف من يتقمص شخصية أحد الأنبياء ؟ !!

أما الذين يكتبون النصوص الدرامية للأفلام والمسلسلات فكثيرا ما تعوزهم القدرة العلمية على تدقيق الأحداث وتصورها صحيحا عند قراءتهم لسير الأنبياء والرسلين ، وقد يلتجي بعضهم عند وجود شح في النصوص الصحيحة إلى الاعتماد على نصوص دينية ضعيفة أو موضوعة ملء الفراغ ، لأن هاجسهم هو تقديم نص تمثيلي مشوق ومغر يجلب المشاهدة الكثيرة ، مما دفع بعضهم في حالات متعددة إلى تخيل قصص غرامية إشباعا حسب رأيهم لحاجة المترجج ، أو لأن الحبكة الدرامية لا تستغني - عن إبراز العاطفة بين الرجل والمرأة .

وفي خصوص المشاهد التي تقام في شتى أنواع التمثيليات ، فإن المعهود منها احتلالها بأجواء الله ولتصوير بعض حياة القرشيين في الجاهلية مثلا ، مع إظهار مجوهم بتصوير نساء عاريات متبرجات ، وربما ظهر بعض الممثلين في أشخاص الجاهليين يسبون الدين ويعذبون في جانب النبوة ، وربما زيد إلى كل ذلك تصنع في الحركات والأقوال ، وهذا مما لا يليق في ذاته فضلا عن أنه يقع تمثيلا لأحوال الأنبياء .

أما القول باستثمار التمثيل الفني في أشكاله ووسائله المختلفة في سبيل الدعوة إلى الإسلام وحسن الإبلاغ عنه وتقديم الصورة عنه ، وما يروج له من وجود مصلحة بالتشجيع على مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب رغبة في العبرة والاتعاظ - فهذا مجرد فرض وتقدير ، لأن المفسدة كما بينا هي أكبر من المصلحة ، وما كانت مفسدته أرجح فهو منوع بالشرع .

وحتى في حال تساوي المصلحة والمفسدة ، كما يدعى البعض توهما ، فإن في القاعدة التشريعية أن المصلحة إذا عارضتها مفسدة مساوية لها فإنه لا اعتبار لها ، لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

وبناء على ما تقدم فإن تحسيد الأنبياء في الأفلام والمسلسلات والمسارح وغيرها من أشكال التعبير الفني ،
هو منكر كبير ، لما يختلط به من الريف وتشويه الحقيقة عند تقمص شخصياتهم التي صانها الله عن الكذب
والبهتان وعن التلبيس بما لا يليق بها صورة وحالا ومقالا ، ومكانتهم أعز من أن يتمثل في صورتهم أو في
قدرهم .

والأنبياء كلهم سواء في وجوب الاحترام والتوقير وإن تفاوت عند الله فضلهم . وحفظا لقدرهم وصونا لمقانتهم وتقديسا لدورهم ، فإنه لا يجوز بحال محاكتهم تمثيلا أو تحسينا لصورهم .

ومن تجاهس على هذا المقام العلي فتقمص شخصياتهم بالتمثيل فقد افترى على الله وعليهم ونسب إليهم ما لا ينسب لهم على الحقيقة قال تعالى " ومن أظلم من افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين " (هود 18) ، وفي الحديث برواية الصحيحين " من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " ⁽¹⁾ .

وإني إذا أضض صوتي إلى ما سبق أن أعلنته هيئات الإفتاء المختلفة في العالم الإسلامي والجامع الفقهي من تحريم تحسيد شخصيات الأنبياء في الأفلام والمسلسلات والمسارح ، أو تحسيدها صورا ثابتة ورسوما مختلفة فإن الأمة الإسلامية بأكملها عليها واجب عدم تشجيع هذا النوع من الإنتاج الدرامي بعدم الإقبال عليه ومشاهدته وذلك أضعف الإيمان ، قال تعالى " إلا تنصروه فقد نصره الله " (التوبه 40) وقال أيضا " إنا لننصر رسالتنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقون الأشهاد " (غافر 51) .

أما نقل حياة الرسل عليهم السلام ، بطريق الرواية المحققة ، من غير تحسيد بالتمثيل ونحوه ، من خلال أفلام وثائقية تعرض أخبارا من حياتهم أو صورا من آثارهم ، فلا مانع منه إذا كان القصد هو التعليم والتبيين والإبلاغ والدعوة إلى الله عز وجل والتغريب في هذا الدين السمح . بل نراه متاكدا في لزوم طلب هذه الوسائل والأخذ بها ، لأنها سريعة التأثير في النفوس والعقول ، ولعلها من الحكمة التي قال عنها المولى حل

(¹) أخرجه البخاري : باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم . وأخرجه مسلم : باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شأنه " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة " (النحل 125) ، والحكمة هي حكمة عقل وحكمة تدبير بانتهاج أفضل الوسائل الموصولة الى الغرض المنشود .

4) حكم تجسيد الصحابة رضي الله عنهم :

يجمع علماء الأمة خلفا عن سلف على أن الصحابة - رضي الله عنهم - هم في المقام المخصوص والقرب المعلوم من نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن قدرهم يعلو على قدر باقي المؤمنين وسائر البشر من عاش في زمنهم أو جاء لاحقا عنهم ، والدليل قوله صلى الله عليه وسلم : " الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم " (¹) ، وقوله صلى الله عليه وسلم " خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " (²) وقال في أبي بكر رضي الله عنه " لو كنت متخدنا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته " (³) .

ولهذا الفضل الذي ثبت للصحابة رضي الله عنهم ، فلا خلاف في أنهم هم القدوة والأسوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدليل ما جاء في الحديث الشريف " اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر " (⁴) . وذهب علماء السنة والجماعة الى أن بعضهم أفضل من بعض ، ولا يفضلهم في القدر أحد سواهم . والظاهر المعقول أنهم في الفضل على ترتيبهم في الإمامة ، فأفضلهم الخلفاء الأربع على الترتيب المذكور ، ثم تمام العشرة المبشرين بالجنة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل أحد ، ثم بيعة الرضوان ، ومن له مزية من أهل العقبتين من الأنصار ، وكذلك السابقون الأولون وهم من صلى إلى القبلتين في قول ابن المسيب وطائفة .

وبناء على ما تقدم فإن ما صح في حق الرسل جميعهم من حرمة تمثيل أشخاصهم ، يصح حكما في تمثيل الصحابة رضي الله عنهم ، وإن افترق العلماء في الرأي على أقسام ثلاثة :

أ) قسم أول يقول بالتحريم مطلقا :

يرون الحرمة في عموم الصحابة رضي الله عنه دون تمييز ، لما في تمثيل أشخاصهم في الأفلام والمسلسلات وسائر الأعمال الفنية من خط لأقدارهم واستخفاف بمنزلتهم التي وهبها الله لهم في قرآن كقوله تعالى " محمد رسول الله والذين معه " (الفتح 29) وقوله تعالى " والذين معه " هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار .

(¹) أخرجه الترمذى .

(²) أخرجه البخارى .

(³) أخرجه البخارى .

(⁴) أخرجه أحمد وابن ماجة .

وعلى هذا فإنه مهما بلغ التمثيل في المهارة والإتقان ، فإنه لن يعطي الصورة الصحيحة الصادقة عنهم ، وفي ذلك غلط لحقوق الصحابة رضي الله عنهم وإذابة لهم من بعدهم . فضلاً عن كون حياة الصحابة هي جزء من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي الغالب لا يتوقف كتاب النصوص والسيناريوهات الى الدقة ، بل يتعمد بعضهم كما أشرنا سابقاً الى الزيادة والتحريف مراعاة للحركة السينمائية أو لعامل التسويق .

ب) قسم ثان يقول بإباحة مطلقاً :

وهم علماء الشيعة فهم يقولون بعدم وجود دليل على التحرير ، ومعلوم أن منزلة الصحابة عندهم ليست كما يرى أهل السنة ، ولذلك لا يجدون أدنى حرج في تمثيل أشخاصهم .

وما هذه الطفرة التي ظهرت مؤخراً في عدد الأفلام الإيرانية التي تصور حياة الأنبياء والصحابة ، إلا دليل على أنه لا توجد في الفقه الشيعي موانع تمنعها . وهو ما أعاد الجدل حول موضوع تحسيس الأنبياء والصحابة في الأعمال الفنية بصفة عامة .

ج) قسم ثالث يقول بحرمة تمثيل البعض منهم :

خصوصاً في العشرة المبشرين بالجنة لا فرق في درجاتهم ، ويرى أن بشارتهم بالجنة تمنع تمثيلهم . بينما يقدر البعض الآخر أن الحرمة في الخلفاء الأربع وآل البيت دون سواهم . ولا يشترطون في تمثيل غيرهم من الصحابة إلا الاستقامة وحسن السيرة .

والرأي عندي أن التحرير في عموم الصحابة هو أولى من تمييز بعضهم في الحكم ، لأنهم يستوون في إدراك فضل الصحابة وإن زاد بعضهم على بعض في الفضل وقدم الصحابة كما في قوله تعالى " لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير " (الحديد 10).

ولربما أدى التمييز في إباحة تمثيل البعض دون الآخرين إلى التشجيع على اقتحام مقامات الكل ، ولربما صار الأمر سهلاً متناولاً فلا يرعوي البعض عن مس أقدار الصحابة كلهم أو بعضهم والغمز في سيرهم .

وأرى أن التحرير هو سد لباب الدرائع وردم لكل الثغرات ، صوناً لمقدساتنا وحماية للتراث الإسلامي عن العبث . وإنما فكيف يسمح لممثل أجنبي على غير ملة الإسلام أن يمثل شخصية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وهو من هو في القدر والفضل وسابقته في نصرة الإسلام والذب عنه ، وكان ذلك في فيلم " الرسالة " (النسخ الناطقة بغير اللغة العربية) . مع العلم أن الفيلم المذكور قد أقر نصه الأزهر الشريف والمجلس الشيعي الأعلى ببلبنان ¹ .

(¹) مجلة المجتمع الكويtie في عددها 162 الصادر بتاريخ 9 / 7 / 1393 هـ .

بل يتوجب تحريم إنتاج هذه الأفلام والمسلسلات وترويجها والدعائية لها واقتناؤها ومشاهدتها والإسهام فيها وعرضها في القنوات . فالدفاع عن الإسلام يبدأ أولاً بالدفاع عن مقدساته وحرماته ، والدفاع عن المقدسات يبدأ برد الشبهات والأباطيل التي قد تتشكل في صورة مصلحة ما لقوله صلى الله عليه وسلم " من اتقى الشبهات فقد استبرأ الدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام " ^(١) .

أما الذي أفتى به كثير من علماء العصر من أن المنع في التمثيل يخص كبار الصحابة فقط كالخلفاء الراشدين وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم ، فمتعقب عليه بأن الأدلة الموجبة لتعظيم الصحابة عامة ثابتة لجميعهم . وفي تعريف الصحابي : هو من لقي النبي صلى الله عليه وآله مؤمناً به ومات على الإسلام ^(٢) . وحري بمحمعنا الموقر أن يحاط من التصنيف الحكمي في حق الصحابة ، لأن التساهل وإن كان على القدر اليسير فقد يتخد ذريعة ، مثل الثلامة في الحائط إن لم تسد أطاحت بالحائط كله ولو بعد حين .

وما تصاعد عدد الأفلام والمسلسلات التي فيها تحسيد لشخصيات الصحابة رضي الله عنهم ، إلا دليل على استسهال الحرمات واقتحام المحظورات ، بل إن هذا السلوك يفعل اليوم فعل العدوى ، لثبت الربيع الوفير في هذا النوع من الإنتاج الدرامي باستغلال عموم مشاعر المسلمين في جانب دينهم ومقدساتهم .

وما هو يقيني في هذا الباب أن القرارات التي يصدرها هذا الجمع المهيّب وغيره ، لا يمكن أن تجد طريقها إلى التنفيذ والتفعيل إلا بالتنسيق مع دوائر القرار السياسي في البلدان الإسلامية ، مع استغلال أكثر ما يمكن من الفضاءات الإعلامية قصد بث التوعية ولفت انتباه المسلمين إلى ما قد يدس لهم في هذه الأفلام أو المسلسلات من الغث المسيء لرموزهم الإسلامية وسائر مقدساتهم .

4) ردود على بعض الشبهات :

ما يراه بعض شيوخ العلم ^(٣) من أن تحسيد الصحابة ، بمن فيهم الخلفاء الراشدون ، يجوز بثلاثة شروط :

* عدم وجود كذب أو تشويه لحقائق التاريخ الثابتة ، لأن الكذب هو إيهام السامع من المتكلم أنه يحكى الواقع نفسه ، وإذا كان المتكلم لا يقصد ذلك ، ولا يتوهم السامع ذلك منه أيضاً ، فليس هذا من الكذب . واستشهد القائل بهذا الرأي بخط النبي صلى الله عليه وسلم خطوطاً ، وقال عن أحدهما :

(١) أخرجه البخاري : باب فضل من استبرأ الدينه ، ومسلم : باب أخذ الحلال وترك الشبهات .

(٢) راجع الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي بن علي الكناني العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر : ص 10 .

(٣) صحيفة الشرق المطبوعة العدد رقم (٢٢٠) صفحة (٣٠) بتاريخ (١١-٠٧-٢٠١٢) : كاتب المقال نعيم تيم الحكيم من الدمام المملكة العربية السعودية .

هذا ابن آدم ، وقال عن الآخر: وهذا أجله ، موضحاً أن هذين الخطين تمثيل لابن آدم وأجله ، ولم يكونا من الكذب .

وهذا المثال لا يصح في تقديري مقارنة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما رمز بالخطوط رموزاً ولم يصور صوراً آدمية ، والفارق واضح في ذلك . أما الكذب في الحالة الفنية التمثيلية فلا بد منه مع اختلاف المقادير والنسب في النصوص التمثيلية ، لأن واضع السيناريو إنما يحول النص من حالته السردية إلى حالته الحوارية ، ولا بد أن يختلف في ذلك بتصروره وخياله لأن النصوص المتوفرة والتي تروي قصة الصحابي وسيرته لا يمكن أن تستوفي كل أحواله .

ولا يصدق أحد من العاقلين أن ما ورد مثلاً في مسلسل "عمر بن الخطاب" ^(١) ، يعكس حقيقة حياة هذا الصحابي الجليل في أحواله وأقواله كلها ، وأن ما اعتمدته كاتب السيناريو هي نصوص صحيحة ثابتة لا يرقى إليها شك . وإن كانت وقائع الأحداث التاريخية ، قد راجعها عالم جليل هو الشيخ يوسف القرضاوي ، وكذلك الشيخ سلمان العودة ، ولا نشك تبعاً لذلك في صحة الأحداث .

أما الشرط الثاني لجواز تمثيل الصحابة ، عند القائلين به ، فهو إذا خلا الفيلم أو المسلسل من منكرات أخرى لا يسوغ الاختلاف في إباحتها ككشف العورات ونحوها . وهذا شرط لازم لكنه غير كاف ، فتمثيل الصحابي من طرف مثل وظهوره في صورته يترك في المشاهدين انطباعاً معيناً مثل ارتباط صورة الممثل في ذهن الناس بشخصية الصحابي وفي ذلك مخالفة للواقع وهو في ذاته منكر .

وأفاد الشرط الثالث أنه إذا لم يؤد تمثيل أحدهم ، عند غالبية الناس ، إلى الاستخفاف بما يستحقه الصحابي من مكانة ، ولا إلى غلو فيه ، فيجوز . بل أكثر من ذلك ، فعند من يقول بجواز تمثيل الصحابة رضي الله عنهم لا يرى أساساً في إظهار بعض أخطائهم ، إذا أحسن عرضها بما لا يؤدي إلى الحط منهم دون منزلتهم .

ولست أرى كيف يمكن إظهار أخطاء بعض الصحابة رضي الله عنهم ، ولا ينتقص ذلك من أقدارهم شيئاً ، مع العلم أن المشاهدين أغبواهم عموماً وليس لهم اطلاع مفصل على سيرة الصحابة ، ولا لهم تقدير بالعقل الراوح والعلم الثابت أن هذه الأخطاء - إن وجدت - فلا قيمة لها بحسب ما قدموه للإسلام . ولا يسلم الأمر في حالات من أن يستغل بعضهم هذه الجوانب لتهويتها وتضخيمها يريد بذلك الغمز واللمز فيمن شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفضل الزائد على غيرهم .

^(١) إنتاج مشترك بين مركز تلفزيون الشرق الأوسط (mbc) ومؤسسة قطر للإعلام . من كتابة وليد سيف ومن إخراج حاتم علي .

كما شدد البعض أنه ليس من انتقاص صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمثل أدوارهم من لا يقارب شأوهم (أي مكانتهم) في الدين والتقوى ، بل ربما مثلها الفساق !! ومثلوا لذلك بالقرآن أنه لا ينفع أن يتلوه فاسق ، بل ربما خشعت القلوب لحسن تلاوته ، وكان له أجر تلاوته إذا أخلص النية ، فكذلك يكون حال تمثيله دور الصالحين ، إذا أحسن أدائه وأخلص النية .

ولا أدرى كيف جمعت هذه المتناقضات ؟ فإذا كنا لا نقبل شهادة الفاسق شرعا في قليل الأمر وكثيره ، وال fasق هو من اشتهر بالكذب أو بفساد الأخلاق ، فكيف به وهو يمثل صلاح الصحابة واستقامتهم ، والله يقول " يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين " (الحجرات 6) .

بل ويرى البعض أنه ليس يوجد دليل تحريم لتمثيل الصحابة رضي الله عنهم ، وعليه فلا يجوز القول بالنهي . وكيف يطلب الدليل في هذا المقام ، في حين أن التمثيل لم يعرفه السلف الصالح ، وليس فيه دليل ولا عليه قياس ، بل الأمر كله موكول إلى اجتهاد العلماء ، لكن اجتهادهم ينزل منزلة التشريع للأمة فهم ورثة الأنبياء ، وقد دل القرآن الكريم على لزوم التوجه إليهم في قوله تعالى " فاسألو أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " (النحل 43) . والدليل العلمي لا يمكن أن يكون متوهما بحال ، إذا صدر عن نشق بعلمه ودينه ، خصوصا إذا كان الموقف صادرا عن مجموعة من العلماء المشهود لهم ومن الجامع العلمية وهيئات الإفتاء في مختلف البلاد الإسلامية ⁽¹⁾ .

ولا يلتفت في كل هذا إلى من يقول بأن أسباب التحريم هي من قبيل التعلات والمبررات وأن الأصل في الأشياء الإباحة ، وهذا الموقف تعب عنده موجة من السينمائيين الذين يرون في التحريم عدوا للحرية وللإبداع الفني على زعمهم . فالسعي الحثيث لعدد منهم إلى كسر القيود الشرعية واستباحة الممنوعات وتجاوز المحظور ، هو ديدنهم . والحقيقة أنهم لا يرون في هذه الأعمال إلا مادة فنية جديدة مستباحة تدر الأموال السهلة باستغلال المشاعر الدينية للمسلمين ، خصوصا إذا كان العرض في المواسم المعروفة كشهر رمضان والعيدان عندما يتكشف إقبال المشاهدين على هذه النوعية من الأفلام والمسلسلات .

ويعد بعضهم إلى وضعنـا أمـام مـقارنة غـير ذات جـدوـي ، وهـي : أـلا يـكون من الأـفضل التـشـجـيع عـلـى إـنـاجـ أـفـلـامـ وـمـسـلـسـلـاتـ عـنـ الصـحـابـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ ، عـوـضـ تـرـكـ المشـاهـدـ فيـ مـواجهـةـ بـرـامـجـ الرـقـصـ وـالـتـهـريـجـ وـالـعـرـاءـ وـالـمـشـاهـدـ الفـاضـحـةـ الـتـيـ تـطـالـعـنـاـ بـهـاـ كـثـيرـ مـنـ التـلـفـزـاتـ الـعـرـبـيـةـ ؟

(1) ومنهم علماء من المملكة السعودية كابن باز رحمه الله والشيخ عبد الرزاق عفيفي ... ومن علماء الأزهر الشريف الدكتور أحمد عمر هاشم والدكتور عبد الصبور مزروق والدكتور عبد العظيم المطعني والدكتور عبد الفتاح عاشور والدكتور محمد سيد أحمد المسير ... ومن علماء المغرب الدكتور أحمد الريسوبي .

وكان قدرنا – حسب تخمين البعض – أن نختار من الأسوأ ما هو أقل سوءاً ومن الشر ما هو أهونه ، وهي مغالطة سفسطائية .

والأصل أن نؤسس لهذه الإنتاجات السينمائية والتلفزيية تصوراً جديداً مخالفًا للنهج الذي رسمته السينما الغربية ، وأن نعبد لهذا العمل طريقاً أخرى ، مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصيات التراث الإسلامي وكيفية التعامل معه ، حتى نحافظ عليه ولا نجره إلى ما يشبه المحتك ودمار الصورة الناصعة عنه لدى أحيا المسلمين .

وربما احتاج هذا الأمر إلى تكوين جيل من أخصائيي السينما يفهمون جيداً تراثه ويحسنون التعامل معه ويدركون الكيفيات الصحيحة لإيصاله عبر هذه الوسائل التقنية والفنية . ويجب أن يسهم العلماء في تكوين هذا الجيل ومدده بالوسائل المعرفية الشرعية ، بالتزامن مع ما يتلقاه من التكوين الاحترافي .

إعادة النظر في موضوع حكم تحسيد الأنبياء والصحابة في الأعمال الفنية بمختلف تشكيلاتها ، ر بما أثارته موجة الأفلام والمسلسلات التي ظهرت مؤخراً عن الأنبياء والرسل والصحابة ، وخصوصاً منها أفلام ومسلسلات إيرانية حظيت بالتسویغ الشرعي من رموز شيعية قد لا ترى في النبوة مقدساً ولا في الصحابة فضلاً وقدراً ، وفتحت بسبب ذلك أبواباً يعسر غلقها .

وعلى مجتمعنا المهيّب أن يتمسّك بالنظرية الشرعية الصائبة النابعة من أصول الاعتقاد الصحيح ، وهي من تحسيد الأنبياء والصحابة مهما اختلفت درجاتهم في التفضيل ، فالنبوة مقدسة والصحابة جزء من سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وعلى الدوائر المسؤولة في كل بلد إسلامي أن تلتزم بما يجمع عليه العلماء فيما يذهبون إليه من الأحكام وما يستصدرونه من قرارات ، حماية للدين من يسعون جاهدين إلى استباحة ممنوعاته وتعدي حدوده ، تحت مسمى الحرية والإبداع وما هو كذلك ، قال تعالى " تلك حدود الله فلا تتعذدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون " (البقرة 229) وقال صلى الله عليه وسلم " ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه " ⁽¹⁾ .

وما يصلح للغرب لا يصلح بالضرورة للمسلمين ، فنحن نصدر عن ثقافة مختلفة عنهم ، ومساحة الحرية في الإسلام ليست سائبة ولا مطلقة بل هي ممتزجة بروح المسؤولية الإيمانية واحترام المقدس ، والاجتهداد ضمنها متسع غير هين ، ولا يأتي في كل الحالات إلا بكل خير .

فعلماء هذا الانحدار إلى غيرنا ؟ وعلماء هذا الاتباع السخيف ؟ في الحديث عن أبي سعيدٍ رضيَ اللهُ عنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَتَسْتَعْنَ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَيْرًا بِشَيْرٍ وَذَرَاعًا بِذَرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسْلَكْتُمُوهُ ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ : فَمَنْ ؟ " ⁽²⁾ .

أرجو من الله ، في الختام ، أن نوفق إلى اختيار القرارات المناسبة وأن توضع موضوع التطبيق الفعلي .

وعلى الله قصد السبيل

حمدة سعيد

مفتى الجمهورية التونسية

(¹) أخرجه البخاري : باب فضل من استبرأ لدينه .

(²) أخرجه البخاري : كتاب الأنبياء .

الخلاصة

تجسيد الأنبياء والرسل في أدوار تمثيلية تشخصهم وتظهرهم صورة وصوتا ، أو تقديمهم في أفلام كارتونية موجهة الى الأطفال ، أو تصويرهم في رسوم ثابتة من خلال نحوت أو صور جدارية أو كاريكاتورية ، وغير ذلك ، فيه اعتداء على مقاماتهم العالية واستخفاف بأقدارهم السامية ، بدليل أن الله عز وجل قد أنزل الأنبياء منزلة التفضيل على سائر البشر بقوله وهو أصدق القائلين " **وَكُلَا فَضْلَنَا عَلَى الْعَالَمِينَ** " (الأنعام 86) .

ولا يمكن للأمة الإسلامية أن تختلف على ذلك قليلا أو كثيرا ، فالإيمان بالأنبياء والرسل جزء من عقيدتنا التوحيدية ودفعنا عنهم هو دفاع عن حمى الإسلام ومقدساته وعليه قوله تعالى " **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** " (البقرة 136) .

وتمثيل أشخاص الأنبياء والرسل بمن دونهم في الرتبة والفضل عند الله ، هو نوع إذابة ، إذ لا يمكن أن تطابق أحوال الممثلين أحوال الأنبياء في صور أبدانهم ولا في طهارة أرواحهم ولا في سائر تصرفاتهم من الاستقامة الكاملة لسانا وحالا وأفعالا . وبناء على ذلك فإن من يتقمص شخصياتهم بالتمثيل فإنه يفترى عليهم بلسان الحال قبل لسان المقال .

كذلك قد ينبع عن تمثيل أشخاص الأنبياء في بعض الأحيان امتهان واستخفاف بهم الى حد التّيل منهم وإنزال قدرهم ، فالذين يقومون بتمثيل أدوارهم أناس - غالبا - بعيدون عن التدين المطلوب والالتزام الأخلاقي ، مما يتبع المقارنة غير اللائقة والتي قد تمس من الأعراض .

ثم إن القدرة على تمثيل الأنبياء بأشخاصهم هو عمل صعب جدا من حيث الوفاء به فنيا وتقنيا ، فالله عز وجل وهب الأنبياء من القدرات والسمات النفسية والجسمية والسلوكية الزائدة عن القدرة البشرية العادية كي يكونوا أهلا للقيام بالدور المنوط بهم ، مما يجعل مهمه التمثيل والتجسيد الفني عملية شبه مستحيلة ، بل وخلة إخلالا كبيرا بالصورة المنطبقة على حقيقة الأنبياء . وقد حاول عدد من الناس تحشيم عبء النبوة كذبا وبختانا في عهده صلى الله عليه وسلم ، كمسيلمة الكذاب ، فكانوا محل سخرية وباءت محاولاتهم بالفشل الذريع .

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى عن محاكاة الشخص وهي الفعل مثل فعله والقول مثل قوله ، ففي الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده وغيره عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : ذهبت

أحكي امرأة أو رجلاً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : " ما أحب أني حكت أحداً وأن لي كذا وكذا أعظم ذلك " ، فكيف بمن يتقمص شخصية أحد الانبياء !!؟

ولئن اختلف الأمر مع الصحابة رضي الله عنهم فانقسم العلماء في مسألة تحسيدهم في الأعمال الفنية بين مجيز ومحزن ومحترز ، فإن الحق أن مقامهم في فضل الصحابة واحد وإن اختلفت درجات قربهم من النبي صلى الله عليه وسلم وسابقية فضلهم في الإسلام كالمهاجرين والأنصار قال تعالى " لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى الَّذِي وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَرْبِعُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ " (التوبة 117) .

وبناء على ما تقدم فإن ما صح في حق الرسل جميعهم من حرمة تمثيل أشخاصهم ، يصح حكما في تمثيل الصحابة رضي الله عنهم ، إذ يجمع علماء الأمة خلفا عن سلف على أن الصحابة - رضي الله عنهم - هم في المقام المخصوص والقرب المعلوم من نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن قدرهم يعلو على قدر باقي المؤمنين وسائل البشر مما عاش في زمنهم أو جاء لاحقا عنهم ، والدليل قوله صلى الله عليه وسلم : " الله الله في أصحابي لا تخدوهم غرضا من بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فبغضي أبغضهم " ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " وقال في أبي بكر رضي الله عنه " لو كنت متخدنا حليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته " .

وحرى بمحمنا الموقر أن يحاط من التصنيف الحكمي في حق الصحابة ، لأن التساهل وإن كان على القدر اليسير فقد يتخذ ذريعة ، مثل الشلة في الحائط إن لم تسد أطاحت بالحائط كله ولو بعد حين .

وما تصاعد عدد الأفلام والمسلسلات التي فيها تحسيد لشخصيات الصحابة رضي الله عنهم ، إلا دليل على استسهال المحرمات واقتحام المحرمات ، بل إن هذا السلوك يفعل اليوم فعل العدوى ، لشوت الريح الوفير في هذا النوع من الإنتاج الدرامي باستغلال عموم مشاعر المسلمين في جانب دينهم ومقدساتهم .

والسلام

حمدة سعيد

مفتى الجمهورية التونسية

مشروع قرار

اعتباراً لمقام النبوة من حيث هي اصطفاء من الله وتفضيل منه على سائر البشر ، وحيث إن الأنبياء معصومون عن الخطايا والآثام التي لا يسلم منها عموم الأدميين ، وحيث إنهم أرسلوا أسوة يقتدي بها ومثلاً يهتدى به ونوراً يستبصر به ، فإن في تحسيد شخصياتهم في الأعمال الفنية هو حط لأقدارهم وإنزال لمقاماتهم ومس مقدسات الأمة الإسلامية ، وعليه يحرم تمثيل أشخاصهم في الأفلام والمسلسلات أو رسمهم صوراً ثابتة جدارية أو كاريكاتورية وغيرها من أشكال التعبيرات الفنية المحسنة المباشرة .

وما يصح في حق الأنبياء يصح في حق الصحابة ، من حيث إنهم جزء من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن حيث إنهم القدوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم تفاضل درجاتهم ، وتحريم تمثيلهم عام فيهم جميعاً من غير استثناء .

حمدة سعيد

مفتى الجمهورية التونسية